عهد التطفيل لأبي إسحاق الصابي
مقاربة حجاجية

إعداد الدكتور

راشـــد بن مـــبارك الرشـــود

الأستاذ المشارك في قسم اللغة العربية/ كلية الآداب

جامعة الملك سعود

Email: Rashad-lrushood @yahoo.com

المستخلص:

عهد التطفيل لأبي إسحاق الصابي مقاربة حجاجية

✍ **إعداد الدكتور/ راشـــد بن مـــبارك الرشـــود**

يقرأ هذا البحث ويناقش الحجاج ووسائله في عهد التطفيل لكاتبه أبي إسحاق الصابي، أحد كتاب القرن الرابع الهجري. بدأ البحث بإلقاء الضوء على مفاهيم العهد والتطفيل والحجاج، ثم انتقل إلى مناقشة الوسائل الحجاجية الموجودة في العهد، مثل الوسائل النفسية والاجتماعية والوسائل اللغوية، والوسائل البلاغية، والوسائل شبه المنطقية. وختم البحث بأهم النتائج التي خرج بها.

الكلمات المفتاحية: التطفيل، العهد، عهد التطفيل، الحجاج، أبو إسحاق الصابي، النثر العباسي، النثر الفني.

Email: Rashad-lrushood @yahoo.com

Commission (*'Ahad Altatfeel*) by *Abi Is-haq Alsâbî* /*Altatfeel* Decree

An Argumentative Approach

Written By: Dr. Rashad Mubarak Alrushood
Associate Professor in Arabic Literature/ College of Arts
King Saud University

Abstract: This research discusses the Argumentation Approach and its methods of the *Altatfeel* Commission (*'Ahad Altatfeel*), composed by *Abi Is-haq Alsâbî* who was one of the great writers in the fourth Hijri century. First, this research sheds the light on the key concept of the Commission (*'Ahad*), *Altatfeel*, and the Argumentation. Subsequently, the research moves to discuss the Argumentation methods of the Commission, such as the psychological and social methods as well as the linguistic, morphological and logical methods. Finally, the research presents the key findings.

Key words: parasitism, the covenant, the covenant of parasitism, pilgrims, Abu Ishaq al-Sabi, Abbasid prose, artistic prose.

Email: Rashad-lrushood @yahoo.com

المقدمة:

كان أبو إسحاق الصابي[١] أحد أبرز الكتاب في القرن الرابع الهجري؛ بل عده الصاحب بن عباد[٢] رابع أربعة هم كبار الكتاب في ذلك القرن إذ قال: "كتاب الدنيا وبلغاء العصر أربعة: الأستاذ ابن العميد[٣]، وأبو القاسم عبدالعزيز بن يوسف[٤]، وأبو إسحاق الصابي، ولو شئت لذكرت الرابع، يعني نفسه"[٥]. وكان أبو إسحاق مدرسة في أدب النثر، حيث تفنن في الرسائل الديوانية، والمخاطبات، وكتابة العهود وغيرها. وبالرغم من أن معظم كتاباته كانت كتابات رسمية تخرج في العادة من ديوان الخلافة إلى

(١) انظر ترجمته لدى الحموي، معجم الأدباء: ١/١٣١-١٥٨، كما ترجم له الثعالبي، يتيمة الدهر، وأورد مختارات من كتاباته وأشعاره: ٢/٢٨٧-٣٦٨، وانظر أيضًا مبارك، النثر الفني: ٢/٣٥٣- ٣٦٧، وأبو رسلان، أبو إسحاق الصابي الكاتب والشاعر، والسعدي، أبو إسحاق الصابي، ومجيد، هلال الصابي ص:١٦-٢٢، وقناوي، عبدالعظيم علي، الصابي، مقالة في مجلة الرسالة، عدد: ٢٣١ سنة ١٩٣٧م.

(٢) انظر ترجمته لدى الثعالبي، يتيمة الدهر: ٣/٢٢٥-٣٣٧، وانظر أيضًا مبارك، النثر الفني: ٢/٢٩٦- ٣١٥.

(٣) انظر ترجمته لدى الثعالبي، المصدر السابق: ٣/١٨٣-٢١٣، وانظر أيضًا مبارك، المصدر السابق: ٢/٢٣٥- ٢٥٥.

(٤) انظر ترجمته لدى الثعالبي، المصدر السابق: ٢/٣٦٩-٣٨٢، وانظر أيضًا مبارك، المصدر السابق: ٢/٤٣٥- ٤٤٠.

(٥) انظر الثعالبي، المصدر السابق: ٢/٢٩٢.

الأمصار، إلا أنها أصبحت مدرسة يهتدي بها الكتاب من بعده، ويستمتع بقراءتها الأدباء وعشاق الأدب الرفيع. يقول أحدهم: (١)

أصبحت مشتاقًا حليف صبـــابة برسائل الصابي أبي إسحـــــاق
صوب البلاغة والحلاوة والحجى ذوب البراعة سلوة العشـــــاق
طورًا كما رق النسيم، وتـــــــارة تحكي لنا الأطواق في الأعناق
لا يبلغُ البلغـــاءُ شـــأوَ مُبَـرِّزٍ كُتبتْ بدائعُه على الأحـــداقِ

ويقول الآخر: (٢)

يا بؤس من يمنى بدمع ساجـم يهمي على حجب الفؤاد الواجم
لولا تعلله بكـأس مدامـــــةٍ ورسائلِ الصابي وشعرِ كَشَاجِـمِ

وسيكون تركيز هذه الدراسة على عهد التطفيل الذي كتبه على لسان الطفيلي المشهور علي عليكا لخليفته على مهنة التطفيل الطفيلي الكبير ابن عرس الموصلي. وهو عهد كتبه أبو إسحاق الصابي بأمر من الأمير البويهي عز الدولة بختيار على سبيل الفكاهة والترفيه.

وكان الطفيلي عليكا يتطفل على موائد الكبار من القادة العسكريين والوزراء والكتاب في عهد الأمير بختيار، فلما علم الأمير بذلك أمر أبا إسحاق الصابي بكتابة ذلك العهد.

وهو عهد مليء بالحجاج الذي يصلح مادة علمية تُقرأُ قراءة حجاجية على نحو علمي.

---

(١) الثعالبي، المصدر السابق: ٢/٢٨٧، وانظر الحموي، معجم الأدباء: ١/١٣٢.
(٢) الثعالبي، المصدر السابق: ٢/٢٨٨، وانظر الحموي، المصدر السابق: ١/١٣٢.

وقبل أن ندخل في صلب هذه الدراسة يحسن أن نقدم بمقدمة قصيرة تتناول مفهوم العهود ومن ثم التطفيل، وبعد ذلك النظرية الحجاجية التي سيعتمدها هذا البحث في تناوله لعهد التطفيل.

فما هي العهود؟ وما هو التطفيل؟ وما هو الحجاج؟

مفهوم العهد:

ورد العهد في لسان العرب بمعنى: "التقدُّم إلى المرءِ في الشيءِ. والعهد : الذي يُكتب للولاة وهو مشتق منه، والجمع عُهودٌ ، وقد عَهِدَ إليه عَهْداً .

والعَهْدُ : المَوْثِقُ واليمين يحلف بها الرجل ، والجمع كالجمع . تقول : عليّ عهْدُ الله وميثاقُه ، وأَخذتُ عليه عهدَ الله وميثاقَه... وقيل : وليُّ العهد لأَنه وليَ الميثاقَ الذي يؤْخذ على من بايع الخليفة"(١).

فيلاحظ هنا أن العهد الذي نعنيه هنا في هذا البحث اشتق من ثلاثة معان هي: العهد الذي يكتب للولاة، والتقدم إلى المرء في الشيء، والميثاق.

أما في الاصطلاح السياسي فالعهد هو: خطاب التكليف الذي يوجهه الخليفة أو من ينوب عنه إلى امرئ ما، يكلفه فيه بأحد الأعمال المهمة في الدولة، كالولايات، والقضاء، ونقابة الأشراف، وقيادة الحملات العسكرية وغيرها. ويتضمن العهد عادة

(١) **ابن منظور، لسان العرب، جذر (ع هـ د)**

المهمات المنوطة بالمكلف، والصلاحيات الممنوحة له، والأوامر والوصايا العامة والخاصة الذي ينبغي أن يلتزم بها، ويسير على ضوئها في ولايته.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من كتب الكتب، ووثق العهود للمكلفين بالأعمال الرسمية؛ فمن **ذلك عهده صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن؛** ليفقههم في الدين، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام، ويأخذ منهم صدقاتهم، وكتب له كتاباً عهد إليه فيه عهده، وأمره فيه بأمره، وقد جاء فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم : هذا بيان من الله ورسوله ،يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود، عهد من محمد النبي رسول الله لعمرو بن حزم، حين بعثه إلى اليمن، أمره بتقوى الله في أمره كله، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله، وأن يبشر الناس بالخير، ويأمرهم به، ويعلم الناس القرآن، ويفقههم فيه...الخ"(١).

فهذا العهد الذي كتبه الرسول صلى الله عليه وسلم تضمن وصايا وتعليمات تشريعية، أمر فيها عَمْرًا بن حزم رضي الله عنه بتنفيذها وتطبيقها في ولايته اليمن، وكان رضي الله عنه في أمس الحاجة إلى استيعابها وفهمها وادخارها؛ ليرجع إليها عند مواجهة الأحداث التي تناسبها.

واستن الخلفاء بعده صلى الله عليه وسلم بسنته في كتابة العهود للولاة، وذوي المناصب العليا؛ فهذا عمر بن الخطاب يكتب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما واليه

(١) حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص: ٢٠٦-٢٠٩.

على البصرة عهدًا يضمنه قواعد قضائية مهمة التزم بها المسلمون على مدى تاريخهم العريق. يقول فيها رضي الله عنه:

"إن القضاء فريضةٌ مُحْكَمة، وسُنَّة مُتَّبَعة، فافهم إذا أُدليَ إليك؛ فإنه لا ينفع تكلُّمٌ بحقٍّ لا نفاذ له، وآسِ بين الناس في وجهك ومجلسك وقضائك؛ حتى لا يطمع شريف في حَيفِك، ولا ييئس ضعيف في عدلك، والبيِّنة على مَن ادَّعى، واليمين على مَن أنْكَرَ، والصلح جائز بين الناس إلا صلحًا أحلَّ حرامًا أو حرَّم حلالًا...الخ"[(١)].

وتطورت العهود بعد ذلك في عصور الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين، وبعد أن استقرت التشريعات الإسلامية، وكثرت الولايات، وتعددت المهام، وتنوعت العهود.

أنواع العهود لدى الصابي:

دخل أبو إسحاق الصابي في مجال صناعة الكتابة منذ بواكير حياته، وتمرس في دواوين الحكم على الكتابة عامة، والسلطانية خاصة، وكانت العهود من أبرز أنواع الكتابة التي تخصص فيها أبو إسحاق وجوَّدها، ولقيت منه عناية كبيرة. وقد تعددت أنواع العهود الذي تفنن أبو إسحاق وشغف بكتابتها. ومن هذه الأنواع: [(٢)]

١- **العهود السياسية:** وهي العهود التي يكتبها الصابي عن الخلفاء بتقليد ولاة الأمصار مناصبهم.

---

(١) البيهقي، السنن الكبرى: ١٠/٢٥٣.

(٢) انظر الصابي، المختار من رسائل أبي إسحاق الصابي، ص: ٨٤ وما بعدها.

٢- **العهود القضائية:** وهي التي تكتب لتقليد أحد كبار القضاة منصب قاضي القضاة.

٣- **العهود النقابية:** وهي العهود التي يُخَصُ بها أحد كبار آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم بتقلد منصب نقابة الطالبيين يقوم بموجبه النقيب برعاية آل البيت، وتولي أمورهم، والمطالبة بحقوقهم، والفصل في المنازعات بينهم، وغير ذلك من المهمات.

٤- **العهود الفكاهية:** وهو "عهد التطفيل" كتبه أبو إسحاق على سبيل الفكاهة والطرافة لعليكا الطفيلي[١]. وهو مدونة هذا البحث.

مفهوم التطفيل:

التطفيل في اللغة كما جاء في القاموس المحيط من طفل نسبة إلى الطُفَيْلُ "بنُ زَلاَّلٍ الكوفِيُّ، الذي يُدْعَى طُفَيْلَ الأَعْراسِ أو العَرَائِسِ. وكانَ يأتي الوَلائِمَ بِلا دَعْوَةٍ. ومنه : الطُّفَيْلِيُّ والطِّفْليلُ ، وقد طَفَّلَ وتَطَفَّلَ"[٢].

وقال أَبو عمرو : الطَّفَلُ الظُّلمة نفسُها ؛ وأَنشد لابن هَرْمة :

وقد عَرانيَ من لَوْنِ الدُّجَى طَفَلُ

---

(١) البغدادي، التطفيل، ص: ١٦٧-١٧٢، وابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار: ١٢/١٧-٢٠، والقلقشندي، صبح الأعشى، ١٤/٣٦٠ -٣٦٥.

(٢) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، جذر (ط ف ل).

أَراد أَنه يُظْلِمُ على القوم أَمرُه فلا يدرون مَن دَعاه ولا كيف دَخَل عليهم؛ قال: وقال أَبو عبيدة نسب إِلى طُفَيْل بن زَلاَّلٍ رجل من أَهل الكوفة(١).

"وكان رجل من بني هلال... يقال له طفيل بن زلال فكان إذا سمع بقوم عندهم دعوة أتاهم، فأكل من طعامهم؛ فسمي الطفيلي طفيليًا به"(٢). وقيل إن هذا الرجل كان من غطفان، وكان يقال له: طفيل الأعراس و العرائس(٣).

وقد كثر التطفيل في العصر العباسي نتيجة لفقر كثير من عامة الناس وحاجتهم، ونظرهم إلى كبار القوم وما يقدم على موائدهم من ملاذ المطعومات والمشروبات، فكان أصحاب الأعراس والمناسبات يضعون بوابين يحجبون غير المدعوين من الدخول فيضطر الطفيليون إلى استخدام شتى الحيل للدخول، قال أحدهم:(٤)

كل يوم أدور في عرصة البا ... ب أشم القتار شم الذبـــاب
فإذا ما رأيت آثـــار عرس ... أو ختان أو دعوة لصحـاب
لم أعرج دون التقحم فيهـا ... غير مستأذن ولا هيـــــاب
مستخفًا بمن دخلت عليـه ... لست أخشى تجهم البـواب
فتراني ألف بالرغـــم منـــه ... كل ما قدموه لف العقـــاب

(١) انظر ابن منظور، لسان العرب: جذر (ط ف ل).
(٢) البغدادي، التطفيل، ص: ٤٨.
(٣) البغدادي، المصدر السابق، ص: ٤٦.
(٤) البغدادي، المصدر السابق ، ص: ١٣٤.

برز اسم عليكا الطفيلي لامعًا في القرن الرابع الهجري بين كبار القوم من الوزراء والقادة العسكريين والتجار وغيرهم من الطبقة المخملية؛ فيصل خبره إلى عز الدولة البويهي بختيار، فيوجه بأن يكون أميرًا للطفيليين، ويأمره بأن يعهد لمن يعده بهذه الإمارة، ويكلف أبا إسحاق الصابي بكتابة هذا العهد، فيخرج علينا عهد التطفيل في أحسن صورة، من حيث البناء، والأسلوب، والصياغة، وبلاغة الحجة، والخبرة بخفايا الطفيليين ومجتمعهم، وما يدور فيه من حيل ووصايا.

مفهوم الحجاج:

الحجاج في اللغة جمع حجة من المحاجة وهي بيان الحجة في مواجهة الخصوم. جاء في الصحاح: "والحُجَّة: البُرْهان. تقول: حَاجَّه فَحَجَّه أي غَلَبَه بالحُجَّة... وهو رجل مِحجَاج: أي جَدِل. والتَّحَاجُّ: التَّخَاصُم"

لسان العرب: "يقال: حاجَجْتُه أُحاجُّه حِجاجاً ومُحاجَّةً حتى حَجَجْتُه أَي غَلَبْتُه بالحُجَجِ التي أَدْلَيْتُ بها ... والحُجَّة: البُرْهان؛ وقيل: الحُجَّة ما دُوفِعَ به الخصم؛ وقال الأَزهري: الحُجَّة الوجه الذي يكون به الظَّفَرُ عند الخصومة.

وهو رجل مِحْجاجٌ أَي جَدِلٌ. والتَّحاجُّ: التَّخاصُم ؛ وجمع الحُجَّةِ: حُجَجٌ وحِجاجٌ. وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجاً: نازعه الحُجَّةَ ...والحُجَّةُ : الدليل والبرهان"(١).

ومن هذه الشروح يتبين لنا أن الحجة هي الدليل والبرهان الذي يحاج ويغالب ويدافع به الخصم؛ ليقتنع ويرتدع، والأفعال المطاوعة حاجَّ ونازع وخاصم وحاور تدل على أن المحاجة تكون بين خصمين أو أكثر.

(١) **ابن منظور، لسان العرب: جذر (ح ج ج)** .

وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على الحجاج والمجادلة بين الأنبياء وأقوامهم، كقوله تعالى: "**ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه**"، وقوله تعالى "**وحاجه قومه قال: أتحاجوني في الله وقد هدان**".

أما الجدال فمثل قوله تعالى: "**وجادلهم بالتي هي أحسن**"، وقوله تعالى: "**قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما**". والجدل أيضا فقد وصف الله تعالى قريشًا به في قوله تعالى: "**مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**".

أما في الاصطلاح فإن نظريات الحجاج تهدف إلى دراسة الأثر الذي يحدثه الخطاب في المتلقي، وعلى مدى قدرة الكاتب أو المتحدث على تغيير أفكاره، وتغيير سلوكه نحو الطريق الذي يريده المتكلم. فلهذا عرّف عالما النظرية الحجاجية بيرلمان (Perelman) وتتيكا (Tyteca) الحجاج بأنّه "جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفةٍ، هي حمل المتلقّي على الاقتناع بما تعرضه عليه، أو الزّيادة في حجم هذا الاقتناع معتبرًا أن الغاية الأساسيّة إنما هي الفعل في المتلقي على نحو يدفعه إلى العمل، أو يهيّئه للقيام بالعمل"[1].

(١) برلمان وتتيكا، مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة، المطابع الجامعية، ليون، فرنسا، ١٩٨١، ص: ١:٩٢ ، نقلاً عن الدريدي، سامية، الحجاج في الشعر القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، ص: ٢١.

وعندهما فإن: "موضوع نظرية الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"(١).

والغاية من الحجاج عندهما هي: "أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها، أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما وفِّق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه)، أو هو ما وفِّق على الأقل في جعل السامعين مهيئين للقيام بذلك العمل في اللحظة المناسبة"(٢).

وهذا يعني اهتمام نظرية الحجاج بالجانب الوظيفي للخطاب الأدبي الذي أغفلته كثير من النظريات النقدية الحديثة وبخاصة النظرية البنيوية، "فلم يعد مهما أن نبحث في جمال الخطاب الأدبي وما يحدثه من إمتاع وتسلية في نفوس متلقيهن، بل أصبح من الضروري البحث عما يحدثه من أثر وتغيير؛ لأن الخطاب الأدبي ذو اتجاهين: اتجاه أدبي جمالي، واتجاه وظائفي"(٣).

ولحسن الحظ فإن المدونة التي سيتناولها هذا البحث تجمع بين هذين الاتجاهين فهي ذات اتجاه جمالي بما تحمله من تسلية لطيفة، وإمتاع للمتلقي أمتعنا به أبو إسحاق الصابي في "عهد التطفيل" الذي كتبه على لسان عليكا الطفيلي، وهي أيضًا ذات اتجاه

---

(١) صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص: ١٣.

(٢) صولة، عبدالله، المصدر السابق، ص: ١٣.

(٣) تجاني، أمينة، الحجاج في رسائل الشيخ أحمد التيجاني. دراسة في وسائل الإقناع، ص: ٨.

وظيفي بما تحمله من طاقات حجاجية متنوعة أثارتها قضية التطفيل في مجتمع القرن الرابع العباسي. ولأن الخلاف على التطفيل ليس يقينيًا بل إنه قابل للأخذ والرد؛ فإن اتخاذ النظرية الحجاجية آلية لدراسة عهد التطفيل كان خيارًا مناسبًا؛ لأن الحجاج يعتمد في الغالب على "ما هو مرجح likely وممكن possible ومحتمل probable، كما أن الأدلة التي تقدمها المحاجة ليس من شأنها أن تكون حاسمة فاصلة فيما تثبت أو تنفي، بحث تقرر ما تقرره أو تنفي ما تنفيه على سبيل الحقيقة المؤكدة الراسخة"(١). فمنطلقات الحجاج إذن منطلقات غير يقينيّة، وميدانه "هو الاحتمال، وليس ميدان الحقائق البديهيّة والمسلّمات المطلقة؛ فهناك دائمًا قسط من الشك بما يدفعنا دائمًا إلى البحث عن حجج من أجل تحقيق درجة أعلى من الإقناع"(٢).

والوسائل أو الآليات الحجاجية التي تعارف عليها المختصون في هذا المجال كثيرة ومتنوعة، ولكننا سنقتصر هنا على الوسائل الحجاجية التي تعالج الحجج الموجودة في المدونة، على أنه من المعروف عند بعض اللغويين أن اللغة حجاجية بذاتها(٣)، حتى ولو لم يعمد المرسل – سواء أكان كاتبًا أم خطيبًا– إلى تبني وسائل حجاجية تدعم آراءه.

---

(١) حشاني، عباس، مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، ص: ٢٧٩.

(٢) فروم، هشام، تجليات الحجاج في الخطاب النبوي، دراسة في وسائل الإقناع – الأربعون النووية أنموذجا، ص ٤٩، وانظر أيضا صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص: ١٤، وحشاني، عباس، مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، ص: ٢٧٩.

(٣) صولة، عبدالله، الحجاج في القرآن الكريم، ص: ٣٣، وانظر قادا، بلاغة الإقناع، ص: ١٧٩.

"فاللغة في الخطاب الحجاجي تقوم بدور جوهري وفاعل، في تحقيق التأثير والاستمالة، فالمفردات والتراكيب التي يختارها المتكلم لوصف حدث ما، تعكس موقفه تجاه ذلك الحدث"(١).

وسائل الحجاج الإقناعية في عهد التطفيل

المقصود بوسائل الإقناع هي الحجج التي يتخذها المتكلم أو الكاتب وسائل؛ لإقناع المتلقين برسالته أو زيادة اقتناعهم بأمر من الأمور، يهدف هذا المتكلم إقناعهم به، ودفعهم لتنفيذه، أو الانتهاء عنه.

وقد اتخذ كاتب العهد عدة أساليب حجاجية، وآليات إقناعية بهدف إقناع جمهوره الكوني، وزيادة قناعة جمهوره الخاص. تتمثل هذه الوسائل والآليات الإقناعية في الآتي:

الوسائل النفسية والاجتماعية

يعمل المخاطِب على تهيئة المخاطبين لتلقي الرسالة الحجاجية التي يريد إيصالها، "فالحجاج في النهاية ليس سوى دراسة لطبيعة العقول، ثم اختيار أحسن السبل لمحاورتها والإصغاء إليها... وإذا لم توضع هذه الأمور النفسية والاجتماعية في الحسبان، فإن الحجاج يكون بلا غاية ولا تأثير"(٢).

لعل أهم وسيلة نفسية واجتماعية اتخذت في عهد التطفيل هي بناء هذا العهد بصورة تماثل بناء العهود السلطانية؛ مما يعطي المتلقي انطباعًا تلقائيًا بالتسليم لما في هذا العهد من حجاج، وما فيه من أوامر ونواهٍ. وهذا فيه ما فيه من مخاطبة "عاطفة المتلقي قبل

(١) **عبدالمجيد، جميل، البلاغة والاتصال، ص: ١١٨.**
(٢) **مصباحي، عبدالعزيز، الحجاج والوظائف التداولية، ص: ٢٠٢.**

عقله، وحمله على مشاركة المتكلم الشعور ذاته، ومقاسمته العاطفة نفسها؛ فتذعن له النفس من غير روية أو فكر"[1].

والعهود هي الكتب التي يصدرها الخلفاء والأمراء يكلفون بموجبها الولاة والقضاة بمهام مناصبهم تتضمن كثيرًا من الأوامر والوصايا التي على المكلفين الالتزام بها، والعمل على تطبيقها في أماكن ولاياتهم.

وقد درج الكتاب على تضمين عهودهم التي يتولون كتابتها عن الخلفاء وملوك النواحي عناصر متشابهة، وأخرى مختلفة، بحسب كل عهد، وبحسب زمانه ومكانه والخليفة أو الملك الذي يكتب عنه، وبحسب المنصب وصاحبه.

وكان أبو إسحاق الصابي واعيًا لمثل هذه التشابهات والاختلافات في كتابة العهود؛ فجاءت عهوده التي كتبها متوافقة كل التوافق مع المراد منها زمانًا ومكانًا ومنصبًا؛

أما في **عهد التطفيل** الذي نحن بصدده فلا يختلف في بنائه كثيرًا عن العهود الأخرى؛ فهو يبدأ بمقدمة يحدد فيها من الذي يعهد، ومن المعهود إليه، ومهامه المكلف بها، ونطاق التكليف المكاني، وأسباب اختياره لهذا التكليف، وقد جاءت هذه **المقدمة** على النحو الآتي:

"هذا ما عهد علي بن أحمد المعروف بعليكا، إلى علي بن عرس الموصلي، حين استخلفه على إحياء سنته، واستنابه في حفظ رسومه من التطفيل، على أهل مدينة

---

(١) الدريدي، سامية، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني الهجري.. بنيته وأساليبه، ص: ١٥٣.

السلام، وما يتصل بها من أكنافها، ويجري معها من سوادها و أطرافها، لما توسمه فيه، من قلة الحياء، و شدة اللقاء، و كثرة اللقم، و جودة الهضم، و رآه أهلاً له من سده مكانه في هذه الرفاهية المهملة التي فطن لها، و الرفاعية المطرحة التي اهتدى إليها، و النعم العائدة على لابسيها، بملاذ الطعوم، و مناعم الجسوم، متوردا على من اتسعت مواد ماله، و تفرعت شعب حاله، و أقدره الله على غرائب المأكولات، و أظفره ببدائع الطيبات، آخذاً من كل ذلك بنصيب الشريك المناصف، و ضارباً فيهم بسهم الخليط المفاوض، و مستعملاً للمدخل اللطيف عليه، و المتولج العجيب إليه، والأسباب التي ستشرح في مواضعها من هذا الكتاب، وتستوفي الدلالة على ما فيها من رشاد وصواب، وبالله التوفيق، وعليه التعويل، وهو حسبنا ونعم الوكيل".

فالذي أعطى العهد ذكر باسمه الكامل ولقبه وهو علي بن أحمد المعروف بعليكا، ليعطي له مكانة عند المتلقين عامة، وعند المعهود إليه خاصة.

وذكر المعهود إليه أيضا باسمه الكامل وهو علي بن عرس الموصلي تقديرًا له، وتعريفًا به من الكاتب ومن الموصي.

وأما المهمة المكلف به فهي استخلافه على إحياء سنته، واستنابته في حفظ رسومه من التطفيل. واختيار ابن عرس خليفة لعليكا لم يأت عبثاً، فقد اختاره لهذه المهمة الكبيرة، "لما توسمه فيه، من قلة الحياء، وشدة اللقاء، وكثرة اللقم، وجودة الهضم، ورآه أهلاً له من سده مكانه في هذه الرفاهية المهملة التي فطن لها، والرفاعية المطرحة التي اهتدى إليها، والنعم العائدة على لابسيها، بملاذ الطعوم، ومناعم الجسوم، متوردا على من

اتسعت مواد ماله، وتفرعت شعب حاله، وأقدره الله على غرائب المأكولات، وأظفره ببدائع الطيبات، آخذاً من كل ذلك بنصيب الشريك المناصف، وضارباً فيهم بسهم الخليط المفاوض، ومستعملاً للمدخل اللطيف عليه، والمتولج العجيب إليه..." فقد اكتملت في ابن عرس كما يرى عليكا صفات الطفيلي النموذج من قلة الحياء، والجرأة على اقتحام الموائد، وكثرة الأكل، وسرعة الهضم، والقدرة على الاحتيال للظفر بأطيب المأكولات. وهذه الإشادة ربما جعلت ابن عرس يزداد قناعة بهذه الحجة، ويتحمل المسؤولية، وينهض بالأمانة.

وذكر كلمة "استخلفه" دلالة على الخلافة، والخليفة له مكانته الدينية والسياسية والاجتماعية. فعليكا كما يذكر العهد، استخلف ابن عرس "**على إحياء سنته، واستنابه في حفظ رسومه من التطفيل**". وهو حمل ثقيل على ابن عرس يلزمه بحفظ رسوم عليكا، وتقاليده في التطفيل.

وأما نطاقها المكاني فهو "**مدينة السلام، وما يتصل بها من أكنافها، ويجري معها من سوادها و أطرافها**"

وتسمية بغداد بـ"مدينة السلام" فيه نوع من التفخيم الذي يعطي هالة كبيرة للنطاق المكاني المكلف به. ولم يقتصر على ذلك، بل أضاف إليها الأكناف والأطراف والسواد.

أما **العنصر الثاني** في عهد التطفيل فقد جاء على نمط العهود السلطانية؛ فهو يتضمن وصايا دينية على رأس التقوى، حيث يقول في العهد:" أمره بتقوى الله التي هي الجانب

العزيز، و الحرز الحريز، والركن المنيع، والطود الرفيع، والعصمة الكالئة، والجنة الواقية، والزاد النافع، يوم المعاد، حين لا ينفع إلا مثله من الأزواد، وأن يستشعر خيفته، في سره وجهره، ومراقبته في قوله وفعله، ويجعل رضاه مطلبه، وثوابه ملبسه، والقرب له أربه، والزلفى لديه غرضه، ولا يخالفه في مسعاة قدم، ولا يتعرض عنده لعاقبة ندم".

فالأمر بالتقوى في عهد هزلي له أثر نفسي كبير وذلك بافتعال الجدية، والإيحاء للمخاطب بأن التزام التقوى يكون في الجد والهزل، وأتبع حثه على التقوى بالوصية بخشية الله في السر والعلن، ومراقبته سبحانه في القول والفعل، وطلب مرضاته والقرب منه سبحانه والزلفى لديه، وعدم مخالفة أمره.

وقد مضى الكتاب والشعراء في العصر العباسي على إضفاء الصبغة الدينية، والصفات المثالية، ومنها التقوى على الخلفاء، فتجد الواحد منهم وهو يتمثل "تفكير السلطة وهيكلها الإيديولوجي، ولذلك فهو يتعامل معها، ويشاركها مشاركة الموظف لها، أو ربما الصديق الحميم لها، ولذلك فهو يستجيب لمعطياتها وثقافتها"[(١)]،

وينتقل العهد بعد ذلك إلى **العنصر الثالث**، وهو الأوامر الواجب على صاحب العهد التزامها، والعمل بمقتضاها، وعدم مخالفتها ليستحق لقب خليفة الطفيليين. وهذه الأوامر هي زبدة ما في العهد من حيث البناء؛ لأنها تسبق بمقدمات، وتعقب بخاتمة فيها بعض التوجيهات.

---

(١) هياجنة، محمود محمد، الخطاب الديني في الشعر العباسي إلى نهاية القرن الرابع الهجري، ص: ١٦٧.

ومن الوسائل النفسية والاجتماعية " أن يظهر المحاجُ نفسه بمظهرين مختلفين لكنهما يتكاملان؛ فمن ناحية يظهر وكأنه أعلى درجة بقليل من المتلقي...ومن ناحية أخرى يظهر بمظهر المشابه له في الظروف والأوضاع، مما يتولد عنه لدى المتلقي ازدياداً في درجة الاقتناع من ناحية، والاندفاع إلى خوض تجربة شبيهة بهذا المتكلم من ناحية أخرى طلبًا لمرتبته ونشدانًا لمقامه"(١)، وهذا ما نلمسه في هذا العهد، حيث يأمر عليكا زعيم الطفيليين، وينهى ويوجه ويحث ويحذر، بما يوحي بعلو مقامه على جمهوره الخاص، وهو ابن عرس أو جمهوره العام من الطفيليين. ومن ناحية أخرى، فهو يشغله ما يشغل جمهوره من أعمال التطفيل، والتحايل للوصول إلى أجمل الموائد وأبهاها، وأكثرها امتلاء؛ ليحمل "عليها حملة الحوت الملتقم، والثعبان الملتهم، والليث الهاجر، والعقاب الكاسر"، ويمعن في هذه الموائد "إمعان الكَيِّسِ في سعيه، الرشيد في أمره، المالئ لبطنه، من كل حار و بارد".

ومن الوسائل النفسية المثيرة التي استخدمها الكاتب أبو إسحاق الصابي، ولها علاقة بما قبلها، الترغيب في الأكل، وفتح الشهية للطفيلي الذي يقرأ هذا العهد، وإقناعه بصحة ما هو عليه. يقول في العهد: "والنعم العائدة على لابسيها، بملاذ الطعوم، ومناعم الجسوم، متوردةً على من اتسعت مواد ماله، وتفرعت شعب حاله، وأقدره الله على غرائب المأكولات، وأظفره ببدائع الطيبات". ويقول أيضًا: "وإذا استقرأها، وجد فيها من طرائف الألوان، الملذة للسان، بدائع الطعوم، السائغة في الحلقوم".

(١) **صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص: ١٦٢.**

ومن الوسائل النفسية والاجتماعية التي توجه الطفيلي وتؤثر فيه، وتقنعه بما هو عليه، جعل عليكا التطفيل كنزًا غفل عنه الغافلون، ورفاهية لم يهتد إليها أهل الغنى والرفاهية، ورفعة لم يحسب لها أهل الشأن والفضل حسابًا؛ فالطفيلي قد شارك أهل الغنى غناهم، وأهل التجارات تجارتهم، وقاسمهم أموالهم، آخذا منهم نصف ثرواتهم، يقول في العهد "ورآه أهلاً له من سده مكانه في هذه الرفاهية المهملة التي فطن لها، والرفاعية المطرحة التي اهتدى إليها...آخذاً من كل ذلك بنصيب الشريك المناصف، وضارباً فيهم بسهم الخليط المفاوض ".

الوسائل اللغوية

الوسائل اللغوية هي من أهم وسائل الحجاج التي أشار إليها منظرو التداولية. ومنها:

الأفعال الكلامية: [1]

عني مفكرو الحجاج بالأفعال الكلامية وصنفوها، وبحثوا تأثيرها في الحجاج، ودورها في الإقناع، وبينوا أن حجيتها في كونها "غير قابلة للحكم عليها بالصدق والكذب بل يحكم عليها إما بالموفَّقة أو غير الموفَّقة"[2] وكان أبرز من صنف هذه الأفعال سورل

(١) لمزيد من التفصيل عن الأفعال الكلامية انظر مقبل، مراد، إستراتيجيات الحجاج في شعر أبي نواس، رسالة دكتوراه، ص: ٦٧-٩٠.

(٢) بو قمرة، عمر، الأفق الحجاجي في نظرية النظم عند عبدالقاهر الجرجاني، ص:٩١.

وأوستين[١]، وكان لهما نموذجان اعتمداه في تصنيف أفعال الكلام. وقد اخترنا في بحثنا هذا نموذج سورل لوضوحه ودقته عند التطبيق. وهذا النموذج يقسم الأفعال الكلامية إلى خمسة أقسام: هي أفعال **توجيهية، وإلتزامية، وإخبارية، وتعبيرية، وإعلانية.**

ولأن العهد طلب من الأعلى للأدنى فيه أمر ونهي، فقد وردت **أفعال توجيهية** كثيرة تحث وتأمر وتوجه وتحذر وتنهى. وصيغتا "الأمر والنهي تحملان معنى الدعوة، ومن ثمة تبدو صلتهما بالحجاج وثيقة؛ لأنهما يهدفان إلى توجيه المتلقي إلى سلوك معين"[٢]

والأمر يحمل رغبة الآمر في استجابة المأمور لشيء ما سواء أكان فعلا أم قولاً، فيقال: أمرت فلانًا أمره، أي أمرته بما ينبغي له من الخير[٣].

والأمر يكون بفعل الأمر، أو بإضافة لام الأمر إلى الفعل المضارع، أو الأمر بصيغة المصدر، أو بأسماء الأفعال.

---

(١) السراج، عبدالعزيز، التواصل والحجاج (أية علاقة)، ص:٢٧٨/١ ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، إعداد حافظ علوي، وبو قمرة، عمر، الأفق الحجاجي في نظرية النظم عند عبدالقاهر الجرجاني، ص:١٤٩وما بعدها.

(٢) الدريدي، سامية، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني الهجري.. بنيته وأساليبه، ص: ١٤٩.

(٣) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، مادة "أمر:، ص: ٣٣. وانظر عن الأمر: العتيبي، رفعة، صيغة الأمر في شعر البحتري، مقاربة بلاغية تداولية، ص: ٣٩ وما بعدها.

وقد ورد الأمر في هذا العهد بصيغة فعل الأمر مرة واحدة هو "كن"، في قوله: "فكن بأوامره مؤتمراً، وبزواجره مزدجراً، ولرسومه متبعاً، وبحفظها مضطلعاً إن شاء الله"، ووردت صيغة الأمر في الفعل المضارع المسبوق بلام الأمر "فليكن" في قوله: "فليكن ذلك الرجل، لنا إماماً نقتدي به، وحاذياً نحذو على مثاله، إن شاء الله".

وكذلك هناك أفعال إنجازية أخرى تدل على الأمر المباشر مع أنها بصيغة الفعل الماضي وهو الفعل "أَمَرَ" الذي تكرر ذكره في بداية كل فقرة من هذا العهد تقريبًا. وذلك في قوله: "أمره بتقوى الله التي هي الجانب العزيز، والحرز الحريز، ... وأن يستشعر خيفته، في سره وجهره، ومراقبته في قوله وفعله"

وقوله: "وأمره بأن يتأمل اسم التطفيل ومعناه، ويعرف مغزاه ومنحاه".

وقوله: "وأمره أن يتعهد موائد الكبراء والعظماء بقراياه، وسمط الأمراء و الوزراء بسراياه".

وقوله: "وأمره أن يتتبع ما يعرض لموسري التجار، ومجهزي الأمصار، من وكيرة الدار والعرس والإعذار".

وقوله: "وأمره أن يصادق قهارمة الدور ومدبريها، ويرافق وكلاء المطابخ وحماليها".

وقوله: "وأمره أن يتعهد أسواق المتسوقين، ومواسم المتبايعين".

وقوله: "وأمره أن ينصب الأرصاد على منازل المغنيات و المغنين".

وقوله: "وأمره أن يجتنب مجامع العوام المقلين، ومحافل الرعاع المقترين".

وقوله: "وأمره أن يحزر الخوان إذا وضع، والطعام إذا نقل".

وقوله: "وأمره أن يروض نفسه، و يغالط حسه، ويضرب عن كثير مما يلحقه صفحاً، ويطوي دونه كشحاً"

وقوله: "وأمره أن يكثر من تعاهد الجوارشنات المنفذة للسدة، المقوية للمعدة"

وفي مقابل التوجيه بالأمر يأتي التوجيه بالنهي والتحذير، ولما كان عليكا أمير التطفيل فإنه الآمر الناهي ولابد من أن تصدر منه عدد من الأوامر والنواهي؛ ومن النواهي الواردة في العهد قوله في تحذير خليفته ابن عرس من معصية الله عز وجل: "ولا يخالفه في مسعاة قدم، ولا يتعرض عنده لعاقبة ندم".

ومن النواهي أيضًا قوله محذرا خليفته ومَنْ وراءه من الطفيليين من الذهاب إلى تجمعات الفقراء والمقلين: "وأن لا ينقل إليها قدماً، ولا يفض لمأكلها فماً، ولا يلقي في عتب دورها كيساناً، ولا يعد الرجل منها إنساناً".

أما **الأفعال الالتزامية** وتعني التزام المتكلم بتقديم أمر ما للمخاطب في الحاضر أو المستقبل بنية صادقة وعزم أكيد على الوفاء بالتزامه كأفعال الوعد والوعيد والضمان والسمع والطاعة وغيرها[1]. فهي أفعال يحققها المتكلم للمخاطبين، ويعدهم بها، أو يتوعدهم فيها. فهي فعل للمتكلم، بينما الأفعال التوجيهية فعل للمخاطب أو المتلقي.

(١) بو قمرة، عمر، الأفق الحجاجي في نظرية النظم عند عبدالقاهر الجرجاني، ص:١٥٨.

ومن أمثلة الأفعال الالتزامية في عهد التطفيل قوله: "وأمره أن يتعهد موائد الكبراء و العظماء بقراياه، وسمط الأمراء و الوزراء بسراياه، فإنه **يظفر** منها بالغنيمة الباردة، ويصل عليها إلى الغريبة النادرة، وإذا استقرأها، **وجد** فيها من طرائف الألوان، الملذة للسان، بدائع الطعوم، السائغة في الحلقوم، ما لا يجد عند غيرهم، ولا يناله إلا لديهم".

وقوله: "وأمره أن يصادق قهارمة الدور ومدبريها، ويرافق وكلاء المطابخ وحماليها...وإذا عدت هذه الطائفة أحداً من الناس من خلانها، واتخذته أخاً من إخوانها، **سعد** بمرافقتها، **وحظي** بمصادقتها، **ووصل** إلى محابه من جهاتها، ومآربه في جنباتها.

وقوله بعد أمره بالاحتيال لمعرفة كمية الطعام المعروضة، وتقدير كمية الأكل التي يحتاج إليها، والمسارعة إلى أكل ما يسد حاجته، ويملأ بطنه، ويكفي شبعه: "فإذا فعل ذلك، **سلم** من عواقب الأغمار، الذين يكفون تظرفاً، ويقلون تأدباً...أعاذنا الله من مثل مقامهم، وعصمنا من شقاء جدودهم"

فتلاحظ هنا حجية أفعال الوعد الالتزامية كونها تجلب السعد والظفر والحظوة، والوصول إلى المطلوب، والحصول على الغنيمة الباردة. وهذه حجة كافية لإقناع المتلقي بفعل ما أُمرَ به، والازدجار عما نُهيَ عنه.

أما أفعال الوعيد فهي قليلة مقارنة بأفعال الوعد، وجاءت كلها في فقرة واحدة، حينما حذر عليكا خليفته ابن عرس من غشيان مجالس المقلين والمعوزين؛ لأن "في التطفيل عليها إجحاف بها **يُؤْثِم**، وإرزاء بمروءة المطفل، والتجنب لها **أجدى**، والإزورار عنها

أرجى" فالفعل الالتزامي "يؤثم" وعيد لمن دخل إلى مجلس الفقراء والمعدمين. ولا شك أن في الوعيد وأفعاله زجر للمتلقي، وإقناع له بالابتعاد عما نهي عنه. أما أجدى وأرجى فهما يدخلان في الوعد الذي رأي عليكا أن المتلقي سيحصل عليها في حال التزامه بما أمر به.

والأفعال الإخبارية هي نوع آخر من الأفعال الكلامية التي يسعى المتكلم إلى إقناع المخاطبين عن طريقها؛ وذلك بإخبارهم بأهمية أمر ما ونتائجه، وهي نوع من إقامة الحجة على المتلقي، وتعريفه بما يجري الحديث حوله قبل وعده أو وعيده أو توجيهه أو الالتزام له أو بعدهما. فمن ذلك قوله في العهد يأمره بتناول فواتح الشهية المساعدة على الهضم: "وأمره أن يكثر من تعاهد الجوارشنات المنفذة للسدة، المقوية للمعدة، المشهية للطعام، المسهلة لسبيل الانهضام، فإنها عماد أمره وقوامه، وبها انتظامه والتئامه، لأنها **تعين** على عمل الدعوتين، **وتنهض** في اليوم الواحد بالأكلتين"، فهنا أفعال إخبارية إنجازية تقنع المتلقي بأهمية تناول هذه المشهيات؛ لإعانتها على كثرة الأكل، وإمكانية الدخول على أكثر من دعوة، والنهوض بأكثر من أكلة.

وأما **الأفعال التعبيرية** فهي التي يعبر بها المتكلم عن مشاعره حبًا وكرهًا، رضًا وغضبًا، حزنًا وسرورًا. ويدخل فيها أفعال التهنئة والاعتذار والشكر والمواساة والحسرة والندم وغيرها[1].

(١) بو قمرة، عمر، الأفق الحجاجي في نظرية النظم عند عبدالقاهر الجرجاني، ص:١٥٩.

وفي العهد يذكر أحوال المقلين والمقترين، فيأمر خليفته بعدم الذهاب إلى مجامعهم، بل يتحسر لحالهم، ويرق لوضعهم النفسي والمادي، لما لهذه العصابة من "ضيق النفوس والأحوال، وقلة الأحلام والأموال، وفي التطفيل عليها إجحاف بها يؤثم، وإرزاء بمروءة المطفل، والتجنب لها أجدى، والإزورار عنها أرجى".

ويورد الكاتب على لسان عليكا قصة أحد المطفلين، ويعجب من حسن تصرفه، ويدعو إلى التأسي به، ويجعل أحد أصحاب الولائم يهش له ويبش، ويرحب به، ويرفع مقامه في الحاضرين، "فقال (أي صاحب الوليمة للطفيلي): مرحباً بك، وأهلاً، وقربًا، والله، لا جلست إلا مع علية الناس، ووجوه الجلساء، إذ قد ظرفت في قولك، وتفننت في فعلك. فليكن ذلك الرجل، لنا إماماً نقتدي به، وحاذياً نحذو على مثاله، إن شاء الله".

وتأتي **الأفعال الإعلانية** ضمن الأفعال الإنجازية التي وردت في العهد، وتعمل الأفعال الإعلانية على مطابقة القول للعمل لحظة قوله، فقول الرجل لخطيب ابنته زوجتك ابنتي، أو قول الزوج لامرأته أنت طالق هي من الأفعال الإعلانية التي تقع بمجرد خروجها من في المتكلم، " وينبغي أن تتسع لتشمل أفعال البيع والشراء والهبة والوصية والوقف والإجارة والإبراء من الدين والتنازل عن الحق والزواج والطلاق والإقرار والدعوى والإنكار والقذف والوكالة...الخ"[(١)]، ويضيف خليفة بوجادي شرطًا مهمًا وهو أن

(١) نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص:٩٩.

يكون زمن الفعل " الحاضر أو المستقبل... فإذا كان الزمن ماضيًا لفظًا ومعنى كان إخباريًا"(١).

وفي العهد نجد مثال تلك الأفعال الإعلانية في قصة ذلك الطفيلي الذي دخل إلى وليمةٍ لم يُدعَ إليها فأنكر وجوده الحاضرون، فعندما رأى صاحب الوليمة عرَّفه بنفسه، وسأله "بأن قال له: هل قلت أيدك الله لطباخك، أن يصنع طعامك، زائداً على عدد الحاضرين، ومقدار حاجة المدعوين؟ فقال: نعم.

فقال: فإن تلك الزيادة لي، ولأمثالي، وبها تستظهر، لمن جرى مجراي، و هي رزق أنزله الله على يدك، وسببه من جهتك.

فقال: مرحباً بك، و أهلاً، و قرباً، و الله، لا جلست إلا مع علية الناس، ووجوه الجلساء، إذ قد ظرفت في قولك، وتفننت في فعلك". فطلب صاحب الوليمة من طباخه أن **يزيد** في طعامه على عدد الحاضرين من الأفعال الإعلانية الناجزة، وكذلك طلب صاحب الوليمة من الطفيلي أن **يجلس** مع علية القوم ووجوه الناس هو نوع من الأفعال الإعلانية التي طابق القول فيها مع الفعل.

(١) بو جادي، خليفة، خصائص التركيب اللغوي في بوابات النور، ص:٢١٩.

التكرار[(١)]:

يكثر أسلوب التكرار في النثر والشعر، فيعطي انطباعًا بأهمية المكرر، أو محبته، أو الشوق إليه، ويستخدمه المتحدث والخطيب أيضا لتأكيد الاستماع إليه، وفهم ما يقصده، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يكرر مقولاته في خطبه، كما قال عنه أنس رضي الله عنه: "**كان إذا تكلَّم بكلمة أعادها ثلاثًا؛ حتى تُفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلَّم عليهم، سلَّم عليهم ثلاثًا**"[(٢)].

والتكرار أسلوب شائع في كلام العرب وخطبهم وخطاباتهم شعرًا ونثرًا، حيث يوفر طاقة حجاجية تساعد المتحدث "على نحو فعال في إقناعه وحمله على الإذعان"[(٣)].

وهناك نوع آخر من التكرار ، وهو التكرار غير المتماثل بمعنى أن يذكر المعنى في جملة، ويعيد المعنى نفسه في الجملة التي تليها بأسلوب آخر، مضيفًا إليه ما يبعده عن التماثل التام، "وهذا النوع من التكرار هام وضروري في الخطاب الحجاجي لأنه يؤكد بالفعل

(١) لمزيد من التفصيل عن التكرار انظر مقبل، مراد، إسراتيجيات الحجاج في شعر أبي نواس، رسالة دكتوراه، ص: ١٥٧-١٧٢، والشثري، وفاء، الحجاج في كتاب الخلاء للجاحظ، ص: ٧١ وما بعدها، والعبد، محمد، النص الحجاجي العربي.. دراسة في وسائل الإقناع، ص: ٤/٣٢-٤٦ ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته إعداد حافظ إسماعيل علوي.

(٢) البخاري، صحيحه، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثًا ليفهم عنه، ص:٣٦-٣٧، حديث رقم: ٩٥.

(٣) الدريدي، سامية، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص: ١٦٨، وانظر بو قمرة، عمر، الأفق الحجاجي في نظرية النظم عند عبدالقاهر الجرجاني، ص:١٢٩.

تقدمًا في الخطاب؛ فالمتكلم حين يستعيد ما قاله ويضيف إليه إنما ينطلق من أمر ويبني عليه، فما كان مقدمة يصبح حجة، وما كان حجة يصبح مقدمة لحجة أخرى"[١].

ومن أمثلة التكرار غير المتماثل في عهد التطفيل قوله: "**مدينة السلام، وما يتصل بها من أكنافها، ويجري معها من سوادها و أطرافها**" فالأكناف والسواد والأطراف معاني متقاربة في المعنى مختلفة في اللفظ، وقد أعطاها عدم التماثل هنا طاقة حجاجية، وحجة إقناعية، وتفخيمًا للأمر، وتوسيعًا للنطاق المكاني مع أنه محدد ومعروف.

ومن عجيب الأمر أن ابن الأثير انتقد طريقة أبي إسحاق الصابي وأسلوبه في تكرار المعاني مع تغيير الألفاظ عندما يزاوج بين جملتين مسجوعتين، فهو يرى "أن تكون كل واحدة من السجعتين المزدوجتين مشتملة على معنى غير المعنى الذي اشتملت عليه أختها، فإن كان المعنى فيهما سواء فذلك هو التطويل بعينه"[٢]، وقد أوضح رأيه هذا في صفحات كثيرة، وانتقد كثيرًا من المتقدمين غير أبي إسحاق الصابي كالصاحب بن عباد وابن العميد وغيرهم؛ لأنه وضع اختلاف معنيي الجملتين أحد شروط السجع[٣]. وقد رد عليه ابن أبي الحديد في كتابه الفلك الدائر على المثل السائر بأن: "هذه سنة الكتاب وعادتهم مازالوا عليها قديمًا وحديثًا، وهم يرون ذلك من باب سعة العبارة،

(١) الدريدي، سامية، المصدر السابق، ص: ١٧٢.
(٢) ابن الأثير، المثل السائر، ص: ١/٢١٤.
(٣) ابن الأثير، المصدر السابق، ص: ١/٢١٥.

والاقتدار على الألفاظ، ثم إن السجعة الثانية تؤكد معنى الأولى"[1]. ونضيف على قول ابن أبي الحديد أنها تضفي عليها طاقة حجاجية مبهرة.

وقد ختم الصابي العهد الذي كتبه بخاتمة تنضح بالتكرار، لكن فيها من تأكيد الأمر على المعهود إليه، وتثقيل المهمة عليه، لينهض بأمرها ويقوم بها خير قيام، فيقول: "هذا عهد علي بن أحمد، المعروف بعليكا، إليك، وحجته عليك، لم يألك في ذلك إرشاداً و توفيقاً، وتهذيباً وتثقيفاً، ونعتاً وتبصيراً، وحثاً وتذكيراً، فكن بأوامره مؤتمراً، وبزواجره مزدجراً، ولرسومه متبعاً، وبحفظها مضطلعاً إن شاء الله".

وفي هذا العهد استعان الكاتب بوسائل لغوية أخرى بهدف إقناع المتلقين؛ أولها هو طلب تأمل لفظ التطفيل ومعناه، ومعرفة مغزاه ومنحاه، يقول: "**وأمره بأن يتأمل اسم التطفيل ومعناه، ويعرف مغزاه ومنحاه**"، ثم أمره ببحث هذا المعنى بنفسه، وبذل جهده في تحصيله، وعدم تقليد الآخرين في تحقيق هذا المعنى، يقول: "**ويتصفحه تصفح الباحث عن حظه بمجهوده، غير القائل فيه بتسليمه وتقليده**".

ثم يفصل في المعنى اللغوي لكلمة التطفيل، ومن أين أخذت؛ فيبين أنه "**مشتق من الطفل، وهو وقت المساء، وأوان العشاء، وإن كثر استعماله في صدر النهار**

(١) ابن أبي الحديد، الفلك الدائر على المثل السائر ص: ١٧٩/٤ ملحق بكتاب ابن الأثير، المثل السائر.

وعجزه، وأوله وآخره، كما قيل للشمس والقمر، القمران، أحدهما القمر، و لأبي بكر و عمر، العمران، وأحدهما عمر".

الوسائل البلاغية

والوسائل البلاغية هي ركن أساسي يعتمده كل متحدث يرغب في إقناع مستمعيه، وإقامة الحجة على متلقيه، ومن الوسائل البلاغية التي وردت في هذا العهد:

الشاهد أو التمثيل : وهو من أهم الوسائل البلاغية التي استخدمها الخطباء والكتاب في توثيق حجاجهم وتأكيده.

ومن الشواهد التي ذكرت في عهد التطفيل، استشهاد الكاتب بقصة طفيلي استطاع أن يستخدم الحيلة، والحجة العقلية، للولوج إلى مائدة أحد الكبار، بل وتكريمه وإيثاره على غيره من الضيوف، حيث قال: "ولقد بلغنا أن رجلاً من هذه العصابة، كان ذا فهم و دراية، وعقل و حصافة، طفَّلَ على وليمة رجلٍ ذي حال عظيمة، فرمقته فيها من القوم العيون، وتصرفت بهم فيه الظنون،

فقال له قائل منهم: من تكون أعزك الله؟

فقال: أنا أول من دعي إلى هذا الحق.

قيل: وكيف ذاك؟ ونحن لا نعرفك.

فقال: إذا رأيت صاحب الدار عرفني، وعرفته بنفسي.

فجيء به، فلما رآه بدأه بالسلام، بأن قال له: هل قلت أيدك الله لطباخك، أن يصنع طعامك، زائداً على عدد الحاضرين، ومقدار حاجة المدعوين؟

فقال: نعم.

فقال: فإن تلك الزيادة لي، ولأمثالي، وبها تستظهر، لمن جرى مجراي، وهي رزق أنزله الله على يدك، وسببه من جهتك.

فقال: مرحباً بك، وأهلاً، وقرباً، والله، لا جلستَ إلا مع علية الناس، ووجوه الجلساء، إذ قد ظرفت في قولك، وتفننت في فعلك".

ولقد علق الكاتب على هذه الحكاية، مؤكدًا على مستمعيه وجمهوره الخاص والعام، على أخذ درس من هذه القصة، والاستفادة من الحجاج الذي دار في حواراتها؛ ليكون بطل القصة مثالًا يحذو الطفيلون حذوه، وإمامًا يقتدون به، يقول الصابي على لسان عليكا:" فليكن ذلك الرجل، لنا إماماً نقتدي به، وحاذياً نحذو على مثاله، إن شاء الله".

ومن الشواهد الحجاجية التي ذكرها الكاتب في هذا العهد الاستشهاد اللغوي بإطلاق اسم القمرين على الشمس والقمر، واسم العمرين على أبي بكر وعمر؛ للدلالة على أن التطفيل وإن كان معناه اللغوي حلول المساء، إلا أن الطفيليين يطلقون أعنتهم للتطفل على الموائد في أول اليوم وآخره، وصباحه ومسائه، حيث قال:" وقد عُرفتَ بالتطفيل، ولا عار فيه، عند ذوي التحصيل، أنه مشتق من الطفل، وهو وقت المساء، وأوان

العشاء، وإن كثر استعماله في صدر النهار وعجزه، وأوله وآخره، كما قيل للشمس والقمر، القمران، أحدهما القمر، ولأبي بكر و عمر، العمران، وأحدهما عمر".

ومن الشواهد التي أعطت روحًا حجاجية لحديثه عن أهمية تناول المهضمات والمعينات على كثرة الأكل والاستعداد له، هو تشبيهه من يتناول هذه المعينات على الهضم وتسمى في العهد "الجوارشنات" بالكاتب "الذي يقط أقلامه، والجندي الذي يصقل حسامه، والصانع الذي يجدد آلاته، والماهر الذي يصلح أدواته". فهنا أربع جمل تشبيهية متوالية، والمشبه به فيها من أقوى الناس، وأكثرهم استعداداً في أعمالهم، وهم الكاتب والجندي والصانع والماهر. وتوالي هذه الجمل التشبيهية دلالة على حرص المرسل على تأكيد حجته، وإقناع متلقي عهده؛ لأن التمثيل كما يقول عبدالقاهر الجرجاني "إذا جاء في أعقاب المعاني... كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا...فإذا كان مدحًا كان أبهى وأفخم... وإن كان ذمًا كان مسه وميسمه ألذع... وإذا كان حجاجا كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر"(١)

فالشاهد يعدُّ عنصرًا من عناصر الحجاج ، ومفهومه مرادف للدليل والبرهان، ولقد اعتبره الجاحظ دعامة لإرساء الحقائق وعلى هذا "أكد أن مدار العلم على الشاهد والمثل"

(١) **الجرجاني، عبدالقاهر، أسرار البلاغة في علم البيان، ص: ١١٥.**

الحجاج بالتعليل[١]

التعليل حجة إقناعية لا تقبل الجدل. فكل جملة معللة هي جملة حجاجية بلا خلاف. بل إن العلة هي موضع الجدال من الجملة فلا "يقع الجدال والحجة إلا في العلة، ولا يجب الحق ولا الباطل إلا فيها"[٢].

والعلة اصطلاح علمي منطقي في كثير من العلوم كالفقه وأصوله، والحديث الشريف، والمنطق والفسلفة والبلاغة والنحو وغيرها، حتى قال الشاعر: [٣]

أَنْتَ عِنْدِي فَيْلَسُو فٌ، وَبَصِيرٌ بِالْعِلَل

وكل عالم من هؤلاء محتاج إلى الاحتجاج بالعلة في كثير من قضاياه وأحكامه؛ لأن "إثبات الحكم بذكر علته أروج في العقل من إثباته بمجرد دعواه"[٤].

(١) لمزيد من التفصيل عن الحجاج بالتعليل انظر الشهري، عبدالهادي، آليات الحجاج وأدواته، ص: ١/٨٠-٨٣ ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته إعداد حافظ علوي، والسعيدي، ناصر، الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي، ص: ١٢٥ وما بعدها.

(٢) ابن جعفر، أبو الفرج قدامة، نقد النثر، ص: ٢٦.

(٣) الزوزني، أبو محمد عبدالله، حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء، ص: ٢/٣١٨.

(٤) ابن مالك، بدرالدين الأندلسي الشهير بابن الناظم، المصباح، ص: ٢٤١.

وقد ورد التعليل في عهد التطفيل مرات ذوات عدد مثل قوله في بداية العهد:" أمره بتقوى الله التي هي الجانب العزيز، والحرز الحريز، والركن المنيع، والطود الرفيع، والعصمة الكالئة، والجنة الواقية، والزاد النافع، يوم المعاد، حين لا ينفع إلا مثله من الأزواد"

فقد علل أمره بالتقوى لأنها الجانب العزيز الذي يركن إليه، ويعتمد عليه، ولأنها الزاد إلى الآخرة الذي لا ينفع هناك غيره. فلم يأمره بالتقوى فقط، بل علل ذلك وقدم حجة شرعية مقنعة لكل متلق لهذا العهد، "اعتمادًا على العلاقة الشرطية المضمرة في الخطاب، وهذا التسلسل هو دوران العلة مع المعلول، إذ توجد بوجوده وتنتفي بانتفائه"[(١)] و "الأصل في هذا القانون الحجاجي هو قاعدة تخاطبية مقتضاها أن المتكلم يخبر المخاطب بأقصى ما يمكن من الفائدة، فيصير هذا الأخير إلى حمل قوله على إفادة أن العلاقة بين المقدم والتالي علاقة شرط، طردًا وعكسًا، لا طردًا فحسب"[(٢)].

ويأمره بتتبع مناسبات أهل اليسار وولائمهم المختلفة، ويعلل ذلك بتركيب شرطي مضمر من خلال استعماله "فإنهم" فكأن الفاء واقعة في جواب هذا التركيب الشرطي التعليلي، يقول: "فإنهم يوسعون على أنفسهم في النوائب، بحسب تضييقهم عليها في

(١) الشهري، عبدالهادي، آليات الحجاج وأدواته، ص:١/٨٣ ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، إعداد حافظ علوي.

(٢) عبدالرحمن، طه، اللسان والميزان، ص: ٣٩٧ نقلا عن الشهري، عبدالهادي، آليات الحجاج وأدواته، ص:١/٨٠-٨٣ ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، إعداد حافظ علوي،

الراتب". فهؤلاء الموسرون يوسعون على أنفسهم في هذه المناسبات ويرفهون أنفسهم وضيوفهم بينما يقترون على أنفسهم في باقي الأيام.

ويأمره أيضًا بمصاحبة القائمين على تقديم الأطعمة في القصور الفاخرة، ويقدم له علة مقنعة مستخدمًا التركيب الشرطي المضمر نفسه بأن هؤلاء هم الذين يتحكمون في المطاعم والمشارب التي تدخل هذه الدور والقصور؛ فيقول:" فإنهم يملكون من أصحابهم، أزمة مطاعمهم، ومشاربهم، ويضعونها بحيث يحبون من أهل موداتهم ومعارفهم"

ويأمره كذلك بأن يجتنب تجمعات الفقراء والمقلين وعدم التطفل على موائدهم مستخدما التركيب المضمر نفسه بقوله: " فإنها عصابة تجتمع لها ضيق النفوس والأحوال، وقلة الأحلام والأموال"

ويعلل تسمية الطفيليين بهذا الاسم باستحضار أداة التعليل "لأن"، ويبين أنه ليس عارًا عند أصحاب العقول، ويعطي علة لغوية بأنه مشتق من الطَفَل يقول: "وقد عُرفتَ بالتطفيل، ولا عار فيه، عند ذوي التحصيل، **لأنه** مشتق من الطفل، وهو وقت المساء، وأوان العشاء، وإن كثر استعماله في صدر النهار وعجزه، وأوله وآخره، كما قيل للشمس والقمر، القمران، أحدهما القمر، ولأبي بكر وعمر، العمران، وأحدهما عمر".

ويأمره بالإكثار من أكل المهضمات التي تقوي معدته، وتفتح شهيته، ويستخدم في ذلك "لأن" التعليلية قائلًا: " لأنها تعين على عمل الدعوتين، وتنهض في اليوم الواحد بالأكلتين".

ويستخدم "لام التعليل" و"في" القائمة مقامها عندما يأمره بالصبر على الأذى الذي يلحقه والضرب واللكم الذي يصيبه من أجل الوصول إلى حقه في أطايب الطعام، يقول: "وأمره أن يروض نفسه، و يغالط حسه، ويضرب عن كثير مما يلحقه صفحًا، ويطوي دونه كشحًا، ويستحسن الصمم عن الفحشاء، ويغمض عن اللفظة الخشناء، وإن أتته اللكزة في حلقه، صبر عليها **في** الوصول إلى حقه، وإن وقعت به الصفعة في رأسه، أغضى عنها **لـ**مراتع أضراسه".

التناص:

للتناص طاقة حجاجية إقناعية "تدفع نحو إقناع المتلقي والتأثير فيه للنص المتناص معه"[(١)] حين يستخدمه المخاطِب استخدامًا مناسبًا. والتناص هو تفاعل الكاتب أو الشاعر مع نصوص سابقة، واستعادتها أو محاكاتها أو أجزاء منها في نصه الجديد[(٢)]، وللتناص أشكال وأنواع مختلفة، كثير منها تناصَّ مع قضية السرقات التي أثارها علماء النقد العربي القديم؛ فهناك التناص الديني والأدبي والتاريخي والأسطوري وغيرها. وما يهمنا هنا هو ما يسمى بالاستدعاء، وهو استدعاء لرمز ثقافي قديم داخل نص حديث سواء كان هذا الرمز شخصية إنسانية، أو معلومة تاريخية، أو فكرة، أو مصطلحًا علميًا أو غيرها من الاستدعاءات.

---

(١) فرحان، علي، وظيفة التناص الحجاجية والتأثيرية في مقامات الحريري، ص: ٢٢٥ ضمن كتاب الحجاج والاستدلال الحجاجي بإشراف حافظ إسماعيلي علوي.

(٢) أبو حميدة، محمد، دراسات في النقد الأدبي الحديث، ص: ٣٥.

وفي هذا العهد استدعى الكاتب أبو إسحاق الصابي مصطلحًا فقهيًا معروفًا عند علماء الفقه، ألا وهو شركة العنان، وذلك في قوله معددًا مواقف الناس من التطفيل: " فمنهم من غلط في استدلاله، فأساء في مقاله، ومنهم من شح على ماله، فدافع عنه باحتياله، وكلا الفريقين مذموم...ومنهم الطائفة التي ترى فيها شركة العنان(١)، فهي تبذله إذا كان لها، وتتدلى عليه إذا كان لغيرها، وترى أن المنة من المطعم، للهاجم الآكل، وفي المشرب، للوارد الواغل، وهي أحق بالحرية، وأخلق بالخيرية، وأحرى بالمروءة، وأولى بالفتوة".

فالجمهور ينقسم في موقفه من التطفيل على ثلاثة أقسام: قسم أساء في مقاله عليهم وغلط في استدلاله، وقسم آخر بخل بماله فذمهم، أما القسم الثالث الذي أثنى عليكا عليهم فهم القسم الذين يرون شركة العنان ويؤمنون بها. وشركة العنان هي أن يشترك اثنان في مالٍ لهما على أن يتَّجِرَا فيه والربح بينهما، ولا يشترط فيها المساواة في المال، ولا في التصرف، ولا في الربح. فيجوز أن يكون مال أحدهما أكثر من الآخر. ويجوز أن يكون أحدهما مسؤولًا دون شريكه. ويجوز أن يتساويا في الربح. كما يجوز أن يختلفا حسب الاتفاق بينهما. فإذا كان ثمة خسارة فتكون بنسبة رأس المال(٢).

(١) **ورد لدى البغدادي في كتابه عن التطفيل ص: ١٦٨، وابن فضل الله العمري، ص: ١٨/١٢: "ومنهم الذي لا يرى شركة العنان"، بزيادة لا النافية، وهو فيما يبدو خطأ لا يتفق مع مفهوم شركة العنان، ولا مع ما بعد هذه العبارة من الكلام، والصحيح ما ورد لدى القلقشندي في صبح الأعشى، ٣٦١/١٤ بدون لا النافية.**

(٢) **انظر الخفيف، علي، الشركات في الفقه الإسلامي، ص: ٤٢-٧٨.**

وإذ اتضح مفهوم شركة العنان فإنه سيتضح الكلام في العهد، وهو قوله: "فهي تبذله إذا كان لها، وتتدلى عليه إذا كان لغيرها، وترى أن المنة من المطعم، للهاجم الآكل، وفي المشرب، للوارد الواغل، وهي أحق بالحرية، وأخلق بالخيرية، وأحرى بالمروءة، وأولى بالفتوة"؛ فهذه الفئة من الناس في رأي عليكا تشارك المتطفلين شركة العنان فتبذل لهم المأكل والمشرب، وإسهام هؤلاء المتطفلين في هذه الشركة هو الأكل والشرب، ولهم الفضل والمنة في مشاركة أولئك في مأكلهم ومشربهم. ونعمت الشركة هذه بالنسبة لهم.

الحجج شبه المنطقية

وسميت حججاً شبه منطقية لوجود علاقة مجازية بين الدعوى والحجة[١]، ولأن حجاجيتها غير صارمة، ولا تتمتع بالضبط الإلزامي، بخلاف البرهان الصوري الذي لا يقبل الوسط فهو إما صائب أو خاطئ[٢].

ومن الحجج شبه المنطقية ما يعرف **بالسلم الحجاجي**، و"هو علاقة ترتيبية للحجج"[٣]. وللسلم الحجاجي أدوات لغوية، وآليات شبه منطقية يتحقق باستعمالها الهدف المنشود من هذا السلم، وهي على النحو الآتي:

---

(١) الشهري، عبدالهادي، آليات الحجاج وأدواته، ص:٩٥/١ ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، إعداد حافظ علوي.

(٢) قادا، عبدالعالي، بلاغة الإقناع، ص:١٦٧.

(٣) العزاوي، أبو بكر، الحجاج في اللغة ص: ٥٩/١ ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، إعداد حافظ علوي، وعن السلم الحجاجي انظر أيضًا قادا، بلاغة الإقناع، ص: ١٨٠-١٨٢.

"-الأدوات اللغوية كالروابط الحجاجية، مثل (بل، لكن، حتى، فضلًا عن، ليس كذا فحسب) السمات الدلالية، ودرجات التوكيد.

- الصيغ الصرفية (أفعل التفضيل، صيغ المبالغة)

- (المفهوم: الموافقة ، المخالفة).

- حجة الدليل" [1].

وبالطبع فإن هذه الأدوات الحجاجية لا توجد جميعها في هذا العهد، ولكن نجد منها أدوات مثل الروابط الحجاجية كالأداة "حتى" و"ما وإلا" اللتين تفيدان الحصر. وقد جاءت هاتان الأداتان في فقرة واحدة تفيدان غرضاً واحدًا في ترتيب السلم الحجاجي، ففي قوله في العهد: "وأمره أن يتعهد أسواق المتسوقين، ومواسم المتبايعين، فإذا رأى وظيفة قد زيد فيها، وأطعمة قد احتشد مشتريها، اتبعها إلى المقصد بها، وشيعها إلى المنازل الحاوية لها، واستعلم ميقات الدعوة، ومن يحضرها من أهل اليسار والمروءة، فإنهم لا يخلو فيهم من عارف به، يراعي وقت مصيره إليها ليتبعه، ويكمن له ويصحبه، ويدخل معه، وإن خلا من ذلك، اختلط بزمر الداخلين، **فما** هو **إلا** أن يتجاوز عتب الأبواب، و يخرج من سلطان البوابين و الحجاب، **حتى** يحصل محصلاً، قلما حصله أحد قبله فانصرف عنه، إلا ضلعاً من الطعام، نزيفاً من المدام".

"حتى" هنا أفادت ترتيب السلم الحجاجي بأن من يتجاوز عتب الأبواب ويخرج من سلطان البوابين والحراس، فهو في المرتبة الأولى، حيث سيجد من الأطعمة شيئًا قلَّما

---

(١) الشهري، عبدالهادي، آليات الحجاج وأدواته، ص:١/١٠١-١٠٢ ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، إعداد حافظ علوي.

حصله أحد قبله، ويفهم من هذا أنك إذا لم تستطع تجاوز الحجاب والبوابين، فإنك ستبوء بالفشل، وستجد نفسك خارج الوليمة لم تحرز عشاء ليلتك.

وكذلك "ما" و "إلا" الحصريتان فإنهما أفادتا الترتيب في السلم الحجاجي؛ فما نفته "ما" استثنته "إلا"؛ فأصبح لدينا طبقتان؛ من تجاوزت عتب الأبواب فهذه الطبقة الأولى، ومن لم تستطع تجاوزها فهذه الطبقة الثانية في السلم الحجاجي.

ووُجد في العهد كذلك صيغ التفضيل على وزن "أفعل"، وهي على اسمها تفيد الموازنة بين شيئين أحدهما زاد تفضيلا على الآخر؛ فترتبهما –من وجهة نظر حجاجية– على طبقتين في السلم الحجاجي؛ كقوله بعد أن أمره بتجنب مجامع المقلين والمعوزين: " وأمره أن يجتنب مجامع العوام المقلين، ومحافل الرعاع المقترين...فإنها عصابة تجتمع لها ضيق النفوس والأحوال، وقلة الأحلام والأموال، وفي التطفيل عليها إجحاف بها يؤثم...والتجنب لها **أجدى**، والإزورار عنها **أرجى**".

فصيغتا "أجدى" و"أرجى" جاءتا لترتيب السلم الحجاجي، وفضلت من يتجنب مجامع المقلين، وجعلته في طبقة أعلى وأجدى وأرجى ممن غشي هذه المجامع، وهذه حجة إقناعية للمطفلين لاتباعها.

ووصف العهد فئة من المطفلين بأنها "أحق بالحرية، وأخلق بالخيرية، وأحرى بالمروءة، وأولى بالفتوة" ففضلها على الفئة الأخرى، وجعلها في ترتيب متقدم عليها.

ومن الحجج شبه المنطقية، الحجج التي تعتمد البنى المنطقية كالحد أو التعريف، وهي حجج تقوم على التبرير الحجاجي؛ "لأن التعريف يحرك العملية الاستدلالية، ويقدم اختيارات دون أخرى، كما يشكل حكمًا على الأشياء أو تقويمًا لها"(١).

وفي عهد التطفيل ورد تعريف التطفيل حاملًا طاقة حجاجية مضاعفة، فالكاتب لم يوردا تعريفًا علميًا جافًا، بل قدمه في إطار احتجاجي لتبرير التطفيل، ورفع مقام أصحابه، يقول: "وقد عُرفتَ بالتطفيل، ولا عار فيه، عند ذوي التحصيل، لأنه مشتق من الطفل، وهو وقت المساء، وأوان العشاء، وإن كثر استعماله في صدر النهار وعجزه، وأوله وآخره، كما قيل للشمس والقمر، القمران، أحدهما القمر، ولأبي بكر وعمر، العمران، وأحدهما عمر".

الحجج المؤسسة على بنية الواقع

وتعني الانطلاق من أرضية متفق عليها للإقناع بأمر مُختَلَفٍ فيه، وذلك باستخدام " الحجج شبه المنطقية للربط بين أحكام مسلم بها، وأحكام يسعى الخطباء إلى تأسيسها وتثبيتها، وجعلها مقبولة ومسلمًا بها، وذلك لجعل الأحكام المسلم بها، والأحكام غير المسلم بها عناصر تنتمي إلى كل واحد يجمع بينها، بحيث لا يمكن التسليم بأحدها دون أن يسلم بالآخر"(٢).

---

(١) عادل، عبداللطيف، خطاب المناظرة في التراث العربي الإسلامي، ص:٧٨ نقلا عن قادا، بلاغة الإقناع، ص: ١٦٩.

(٢) قادا، بلاغة الإقناع، ص: ١٧٠.

وتنقسم هذه الحجج إلى قسمين:

أ. **التتابعية:** ومنها الحجة السببية والحجة البراغماتية

ب. **والتعايشية:** ومنها حجة السلطة وحجة الرمز

وقد وردت **الحجة السببية** كثيرًا في هذا العهد، حيث يبنى الحجاج فيها "على تتابع ثابت للأحداث محيلين على رابط سببي يصل بينها"(١). وقد أشرنا إلى بعض الأمثلة من هذا النوع خلال حديثنا عن حجية التعليل، وهي من الحجة السببية بمكان قريب، فاختصارًا لوقت القارئ وبعيدا عن التكرار والتطويل نكتفي بما ذكر هناك.

أما **الحجة البراغماتية** وتسمى أيضًا حجة التبرير أو حجة التجاوز أو الحجة الغائية(٢)، فهي حجة تتابعية تقوم على المبدأ القائل "الغاية تبرر الوسيلة". فهي إذن حجة تسويغية لأعمال قد لا تكون مقبولة في الواقع، ولكن الكاتب يضفي على فعلته حجة يسوغ بها لجمهوره ومتلقيه حسن صنيعه. وتكثر هذه الحجة لدى الطفيليين الذين يسوغون كل عمل، وإن كان محذورًا اجتماعيًا في سبيل الحصول على الطعام،

(١) **الدريدي، سامية، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني الهجري.. بنيته وأساليبه، ص: ٢١٥، وانظر قوتال، فضيلة، حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها الدلالية، ص: ٢٠١-٢٢٠.**

(٢) **الدريدي، سامية، المصدر السابق، ص: ٢٢١، وقوتال، فضيلة، المصدر السابق، ص: ٢٢١-٢٣٦.**

والدخول إلى الولائم، كالتحايل على البوابين، وتصنُّع الوجاهة للدخول مع الوجهاء، أو تصنُّع الظرف للوصول إلى قلوب الكرماء.

وفي هذا العهد يأمر عليكا خليفته باتخاذ جميع الوسائل المناسبة للوصول إلى مبتغاه كالذهاب إلى الأسواق لمعرفة من يشتري أطعمة كثيرة ليصنع بها وليمة، وكتتبع منازل الأغنياء والوجهاء بل أمره "أن ينصب الأرصاد على منازل المغنيات و المغنين، ومواطن الإبليات و المخنثين ، فإذا أتاه خبر لمجمع يضمهم، أو مأدبة تعمهم، ضرب إليها أعقاب إبله، وأنضى حولها مطايا خيله، وحمل عليها حملة الحوت الملتقم، والثعبان الملتهم، والليث الهاجر، والعقاب الكاسر".

فليس هناك حدود تمنعه من الوصول إلى أي مكان، مهما كان محذورا اجتماعيا، في سبيل الوصول إلى الأطعمة اللذيذة والأكلات المشبعة. فلذا أمره أيضًا بتحمل اللكمات التي تصيبه، والصبر على الألفاظ الخشنة التي توجه سهامها إليه، وترويض نفسه على ما يلحقه، يقول: "وأمره أن يروض نفسه، و يغالط حسه، ويضرب عن كثير مما يلحقه صفحاً، ويطوي دونه كشحاً، ويستحسن الصمم عن الفحشاء، ويغمض عن اللفظة الخشناء، وإن أتته اللكزة في حلقه، صبر عليها في الوصول إلى حقه، وإن وقعت به الصفعة في رأسه، أغضى عنها لمراتع أضراسه، وإن لقيه ملاق بالجفاء، قابله باللطف والصفاء، إذ كان إذا ولج الأبواب، وخالط الأسباب، وجلس مع الحضور، وامتزج بالجمهور، فلا بد أن يلقاه المنكر لأمره، و يمر به المستغرب لوجهه، فإن كان حراً حيياً، أمسك وتذمم، و إن كان فظاً غليظاً، همهم وتكلم، وأن يجتنب

عند ذلك المخاشنة، ويستعمل مع المخاطب له الملاينة، ليرد عليه فعرف، وأنست النفوس به فألف، ونال في الحال المجتمع عليها منال من جُشِّمَ، و سئل العناء إليها".

وأما **حجة السلطة** فقد تسمى حجة الذات أيضًا لأنها "علاقة حصرها البعض في علاقة الذات بصفاتها أو الشخص بأفعاله...وتتمثل في تفسير حدث أو موقف ما أو التنبؤ به، انطلاقًا من الذات التي يعبر عنها، أو يجليها، أو يوضحها"(١).

ونجد حجة السلطة في قوله في العهد عندما أمره بتتبع أمكنة الولائم والإشارات الدالة عليها، واستعلام مواقيت هذه الدعوات، وقد أشار عليه بمعرفة من يحضرها من "أهل اليسار والمروءة" وهؤلاء يمثلون سلطة تعايشية في هذه الولائم، متفق على نبلها وكريم أخلاقها من الجميع، ولذلك تنبأ أن يساعده هؤلاء بإدخاله معهم إلى هذه الولائم، بالرغم من تمنع البوابين وهم سلطة أخرى، فقال عن هؤلاء النبلاء:" فإنهم لا يخلو فيهم من عارف به، يراعي وقت مصيره إليها ليتبعه، ويكمن له ويصحبه، ويدخل معه".

الحجج المؤسسة لبنية الواقع

وتشمل هذه الحجج أمرين: القياس ويدخل تحته أنواع مختلفة، وتأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة.

(١) الدريدي، سامية، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني الهجري.. بنيته وأساليبه، ص: ٢٢٨.

والقياس [(١)]من أهم الوسائل الحجاجية، وأحد أشهر آلياته منذ عصور قديمة؛ استخدمها اليونان والعرب وغيرهم من الأمم في محاوراتهم ومناظراتهم، وفي كتبهم ورسائلهم. ولا يكون القياس إلا بذكر مقدمتين قبل الخروج بنتيجة محددة إحداهما كبرى والأخرى صغرى. ووظيفة القياس "هي الانتقال مما هو مسلم به عند المخاطب –أي المقدمة الكبرى– إلى ما هو مشكل، أي إلى النتيجة"[(٢)].

وقد ورد في العهد الاحتجاج بآلية القياس في إطار قصة لأحد الطفيليين ذكرها الكاتب، ومنها قوله: ""فقال: إذا رأيت صاحب الدار، عرفني، وعرفته بنفسي.

فجيء به، فلما رآه بدأه بالسلام، بأن قال له: هل قلت أيدك الله لطباخك، أن يصنع طعامك، زائداً على عدد الحاضرين، ومقدار حاجة المدعوين؟ فقال: نعم.

فقال: فإن تلك الزيادة لي، ولأمثالي، وبها تستظهر، لمن جرى مجراي، و هي رزق أنزله الله على يدك، وسببه من جهتك."

فالمقدمة الكبرى المتفق عليها في هذا الحوار أن صاحب الوليمة صنع طعامًا زائدًا عن عدد الحاضرين.

والمقدمة الصغرى المتفق عليها أيضاً: أن هذا الطفيلي ليس من المدعوين.

---

(١) انظر عن القياس: العبد، محمد، النص الحجاجي العربي.. دراسة في وسائل الإقناع، ص:٤/٢٣–٣١ ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، إعداد حافظ علوي.
(٢) العبد، محمد، المصدر السابق، ص:٤/٢٤.

النتيجة: أن هذا الطعام الزائد عن الحاضرين هو له ولأمثاله ممن لم تتم دعوتهم.

أما **تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة** فيندرج تحته عدد من الحالات الخاصة مثل النموذج، أو ما يمكن أن يسمى بالقدوة، والشاهد، والمثال. وفي عهد التطفيل قصة أحد الطفيليين العصاميين، الذي استطاع أن ينفذ إلى موائد الكبار، وأن يقنعهم بأحقيته في تناول الطعام معهم، بل وأن يرفع الكبار مكانته ويجلسوه مع عليتهم. فهذه القصة تعد نموذجًا متميزا للطفيليين، وقدوة حسنة لهم، وشاهدًا ومثالًا احتجاجيًا لعليكا عليهم؛ حيث أنهى هذه القصة بالحث على الاقتداء به وذلك في قوله: "فليكن ذلك الرجل، لنا إماماً نقتدي به، وحاذياً نحذو على مثاله، إن شاء الله".

وختامًا ، فإن هذا البحث خرج بنتائج مهمة مؤداها أن عهد التطفيل بنية فنية متكاملة تضمنت حجاجًا محكمًا، ووسائل إقناعية مهمة، أراد بها كاتب العهد إقناع متلقيه والتأثير فيهم، وزيادة قناعة من كان منهم مقتنعًا أو مترددًا –وعلى رأسهم الأمير بختيار– بأهمية التطفيل، وعصامية المطفلين، وقدرتهم على التحايل، وصبرهم على الأذى فيه، وولعهم بالأكل. وقد اشتملت هذه الوسائل الحجاجية على وسائل نفسية واجتماعية، ووسائل لغوية وبلاغية وشبه منطقية، وتحت كل وسيلة من هذه الوسائل آليات مختلفة.

المصادر والمراجع

- **ابن الأثير**، ضياء الدين نصر الله بن محمد الشيباني. ***المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر***. تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، القاهرة: دار نهضة مصر، د.ت.
- **البخاري**، محمد بن إسماعيل ، ***صحيحه***، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- **برنجي**، سليم. ***الصابئة المندائيون..دراسة في تاريخ معتقدات القوم المنسيين***. ط١، بيروت: دار الكنوز الأدبية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- **البغدادي**، الخطيب، ***التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم***، عناية بسام عبدالوهاب الجابي، دار ابن حزم، د.ت.
- **البيهقي**، أبو بكر أحمد بن الحسين، ***السنن الكبرى***، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- **تجاني**، أمينة، ***الحجاج في رسائل الشيخ أحمد التيجاني. دراسة في وسائل الإقناع***، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة حمة لخضر الوادي، الجزائر، ١٤٣٥-١٤٣٦هـ/٢٠١٤-٢٠١٥.
- **الثعالبي**، أبو منصور عبدالملك النيسابوري. ***يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر***. شرح وتحقيق د.مفيد محمد قميحة، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م.
- **بو جادي**، خليفة، ***خصائص التركيب اللغوي في "بوابات النور" للشاعر الجزائري عبدالقادر بن محمد القاضي – دراسة في الوظيفة التداولية***-، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في اللغويات، جامعة الأمير عبدالقادر الإسلامية، قسنطينة، ٢٠٠٥-٢٠٠٦م.
- **الجرجاني**، عبدالقاهر، ***أسرار البلاغة***، تحقيق محمود شاكر، دار المدني، جدة، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- **ابن جعفر**، أبو الفرج قدامة، ***نقد النثر***، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م،
- **ابن أبي الحديد**، عز الدين عبدالحميد بن هبة الله، ***الفلك الدائر على المثل السائر***، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت، ملحق بكتاب ابن الأثير، المثل السائر.

- **الحسني**، عبدالرزاق. ***الصابئون في حاضرهم وماضيهم***. د.ن، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
- **حمادة**، محمد عمر. ***تاريخ الصابئة المندائيين***. ط١، دمشق: دار قتيبة، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- **ابن حمدون**، أبو المعالي محمد بن الحسن بن محمد. ***التذكرة الحمدونية***. ط١، بيروت: دار صادر، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- حشاني، عباس، مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، مجلة المخبر، جامعة بسكرة، الجزائر.
- الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن محمد. معجم الأدباء. تحقيق إحسان عبّاس، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- حميد الله، محمد، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس، بيروت، ط٦، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- أبو حميدة، محمد، دراسات في النقد الأدبي الحديث، ط١، ٢٠٠٦م
- الخفيف، علي، الشركات في الفقه الإسلامي.. بحوث مقارنة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
- **الدريدي**، سامية، ***الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني الهجري***.. *بنيته وأساليبه*، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، وجدارا للكتاب العالمي، عمان، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م.
- **الديباجي**، محمد. ***الأدباء الصابئة في العصر العباسي***. ط١، الرباط: منشورات جامعة الحسن الثاني، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- **أبو رسلان**، ندى. ***أبو إسحاق الصابي الكاتب والشاعر***. رسالة ماجستير، لبنان، قسم اللغة العربية، الجامعة الأمريكية- بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- **الزمخشري**، أبو القاسم محمود بن عمر، ***أساس البلاغة***، تحقيق محمد باسل، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- **الزوزني**، أبو محمد عبدالله، ***حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء***، تحقيق محمد بهي الله سالم دار الكتال اللبناني، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص: ٣١٨/٢.
- **السراج**، عبدالعزيز، ***التواصل والحجاج (أية علاقة)***، ص:٢٧٢/١-٢٨٢ ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، إعداد حافظ علوي.

- **السعدي**، قيس مغشغش. ***أبو إسحاق الصابي درر النثر وغرر الشعر***. ط١، إربيل: وزارة الثقافة والشباب العراقية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٩م.
- **السعيدي**، ناصر، ***الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي***، من منشورات النادي الأدبي في الرياض، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص: ١٢٥ وما بعدها.
- **سيوفي**، نيكولا. ***الصابئة عقائدهم وتقاليدهم***. ط١، دمشق: دار التكوين، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
- **الشري**، وفاء، ***الحجاج في كتاب البخلاء للجاحظ***، رسالة مقدمة لاستكمال الحصول على درجة الماجستير في قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤٣٦/١٤٣٧هـ.
- **شكر**، ملحم. ***أضواء جديدة على الصابئين: صفحة من تاريخ الأديان في دار الإسلام***. بيروت: منشورات الجمل، ط١، ١٤٣٨هـ/٢٠١٦م.
- **الشهري**، عبدالهادي، ***آليات الحجاج وأدواته***، ص:١/٧٦-١٤١ ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته إعداد حافظ علوي.
- **الصابي**، أبو إسحاق إبراهيم بن هلال، ***المختار من رسائل أبي إسحاق الصابي***، جمع وتحقيق الأمير شكيب أرسلان، بيروت: دار النهضة الحديثة، دت.
- **صولة**، عبدالله ، ***الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية***، دار الفارابي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م.
- **صولة**، عبدالله، ***في نظرية الحجاج.. دراسات وتطبيقات***، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
- **العبد**، محمد، ***النص الحجاجي العربي.. دراسة في وسائل الإقناع***، ص:٤/١-٦٠ ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، إعداد حافظ علوي.
- **عبدالرحمن**، طه، ***اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي***، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٨م.
- **عبدالمجيد**، جميل، ***البلاغة والاتصال***، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.
- **العتيبي**، رفعة بنت نياف، ***صيغة الأمر في شعر البحتري***، مقاربة بلاغية تداولية، من إصدارات كرسي الدكتور عبدالعزيز المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها، جامعة الملك سعود، الرياض، ط١١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

- **العزاوي**، أبو بكر، ***الحجاج في اللغة***، ص: ١/٥٦-٧٥ ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، إعداد حافظ علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠١٠م.
- **عليان**، رشدي. ***الصابئون حرانيين ومندائيين***. بغداد: مطبعة دار السلام، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.
- **علوي**، حافظ إسماعيلي، ***الحجاج مفهومه ومجالاته***، عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠١٠م.
- **علوي**، حافظ إسماعيلي، ***الحجاج والاستدلال الحجاجي***، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، عمَّان، ط١، ٢٠١١م.
- **فرحان**، علي، ***وظيفة التناص الحجاجية والتأثيرية في مقامات الحريري***، ص: ٢٢٣-٢٤٢ ضمن كتاب الحجاج والاستدلال الحجاجي بإشراف حافظ إسماعيلي علوي.
- **فروم**، هشام، ***تجليات الحجاج في الخطاب النبوي***، دراسة في وسائل الإقناع — الأربعون النووية أنموذجًا—، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة ، ١٤٢٨-١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨-٢٠٠٩.
- **ابن فضل الله العمري**، ***مسالك الأبصار في ممالك الأمصار***، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.
- **الفيروزآبادي**، محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط٨، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- **قادا**، عبدالعالي، ***بلاغة الإقناع***، كنوز المعرفة، عمَّان، ط١، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.
- **القلقشندي**، أبو العباس أحمد بن علي، ***صبح الأعشى***، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م.
- **بو قمرة**، عمر، ***الأفق الحجاجي في نظرية النظم عند عبدالقاهر الجرجاني***، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط١، ٢٠١٧م.
- **قناوي**، عبدالعظيم علي، ***الصابي***، مقالة في مجلة الرسالة، (٢٣١)، (١٩٣٧م)، ٣٤-٣٩.
- **قوتال**، فضيلة، ***حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها الدلالية***، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمَّان، ط١، ١٤٣٨هـ/٣٠١٧م.
- **ابن مالك**، بدر الدين الأندلسي الشهير بابن الناظم، ***المصباح***، تحقيق حسني عبدالجليل يوسف، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٠٩/١٩٨٩م.

- **مبارك**، زكي. ***النثر الفني في القرن الرابع الهجري***، بيروت: دار الجيل، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥.
- **المدني**، محمد نمر. ***الصابئة المندائيون: العقيدة والتاريخ منذ ظهور آدم حتى اليوم***. دمشق: دار رسلان، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
- **مصباحي**، عبدالعزيز، ***الحجاج والوظائف التداولية***، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الوادي. صفحة: ٢٠٢.
- **مقبل**، مراد محمد سالم، ***إستراتيجيات الحجاج في شعر أبي نواس***، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها،كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤٣٩-١٤٤٠هـ/٢٠١٨-٢٠١٩م.
- **ابن منظور**، محمد بن مكرم الأفريقي. ***لسان العرب***. ط٢، بيروت: دار صادر، ٢٠٠٠م.
- **نحلة**، محمود، ***آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر***، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م.
- **النويري**، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب. ***نهاية الأرب في فنون الأدب***. تحقيق علي ملحم، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.
- **هياجنة**، محمود محمد، ***الخطاب الديني في الشعر العباسي إلى نهاية القرن الرابع الهجري***، ط١، عالم الكتب، الأردن، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.